Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيخ الإسلام ابن تيمية

التوسل والوسيلة

تحقيق
الشيخ ابراهيم رمضان

Bibliotheca Alexandrina
0123209

دار
الفكر اللبناني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوسّل والوسيلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوسل والوسيلة

شيخ الإسلام ابن تيمية

تحقيق

الشيخ ابراهيم رمضان

دار الفكر اللبناني

بيروت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دار
المفكر اللبناني

للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - تجاه غلوب بنك
هاتف: ٣١١٥٧٨ - ٨٦٣٢٩٣
ص.ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلكس: DAFKLB 23648 LE - بيروت، لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى ١٩٩٢

مطابع يوسف عيضون
بيروت - هاتف: ٨٢٧٤٤٩ - ٨٢٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

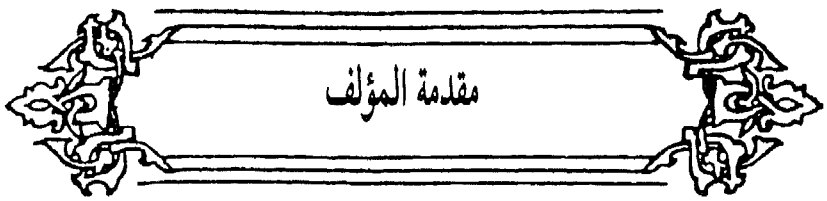

الحمدُ لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يَهدِ اللَّهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضِللْ فلا هاديَ له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودينِ الحق ليُظهرَه على الدين كله وكفى بالله شهيداً . أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى بـه من الضلالـة ، وبصَّر به من العمى ، وأرشد به من الغيّ ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فبلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبَد ربه حتى أتاه اليقين من ربه . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما . ففرّق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، وطريق أهل الجنة وطريق أهل النار ، وبين أوليائه وأعدائه . فالحلال ما حلله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله . وقد أرسله الله إلى الثقلين : الجن والإنس ، فعلى كل أحد أن يؤمن به وبما جاء به ويتبعه في باطنه وظاهره . والإيمانُ به ومتابعته هو سبيل الله وهو دين الله ، وهو عبادة الله وهو طاعة الله ، وهو طريق أوليـاء الله وهو الـوسيلة التي أمـر الله بها عبـاده في قـولـه : ﴿ يـا أيّهـا الـذِينَ آمَنُـوا اتّقُـوا الله وابْتَغُـوا إلَيْـهِ الوَسيلةَ ﴾[1] . فابتغاء الوسيلة إلى الله إنما يكون لمن توسل إلى الله بالإيمان بمحمد وأتباعه .

وهذا التوسل بالإيمان به وطـاعته فـرض على كل أحـد في كل حـال ، باطنـاً

(١) سورة المائدة ، الآية : (٣٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وظاهراً ، في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته ، في مشهده ومغيبه ، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ، ولا بعذر من الأعذار . ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته . وهو ﷺ شفيع الخلائق صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، فهو أعظم الشفعاء قدراً وأعلاهم جاهاً عند الله ، وقد قال تعالى عن موسى : ﴿ **وكانَ عِنْدَ الله وَجِيهاً** ﴾[1] وقال عن المسيح : ﴿ **وَجيهاً في الدُّنْيَا والآخِرَة** ﴾[2] . ومحمد ﷺ أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين ، لكنْ شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع بهما من شفع له الرسول ودعا له ، فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه ، كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته ، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

ولفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى . والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به ، وأما بدون الإيمان به فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة ، ولهذا نُهي عن الاستغفار لعمه وأبيه وغيرهما من الكفار ، ونهي عن الاستغفار للمنافقين وقيل له : ﴿ **سَواءٌ عَليهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لهُمْ لَنْ يَغْفرَ اللَّهُ لهُمْ** ﴾[3] ولكن الكفار يتفاضلون في الكفر كما يتفاضل أهل الإيمان في الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **إنما النسيء زِيَادَةٌ في الكُفْر** ﴾[4] ، فإذا كان في الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته ، فإنه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه ، لا في إسقاط العذاب بالكلية ، كما في صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت : يا رسول الله فهل نفعتَ أبا طالب بشيء ، فإنه كان يحوطك[5] ويغضب لك ؟ قال : « **نعم هو في ضحضاح**[6] **من نار ، ولولا أنا لكان**

(١) سورة الأحزاب ، الآية : (٦٩) .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : (٤٥) .
(٣) سورة المنافقون ، الآية : (٦) .
(٤) سورة التوبة ، الآية : (٣٧) .
(٥) أي يصونك ويحفظك ويدافع عنك .
(٦) أصل الضحضاح الماء اليسير الذي يكون إلى نحو الكعبين واستعير في النار ، والمعنى أنه في غير مقرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الدرك[1] **الأسفل من النار** » ، وفي لفظ : أن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك ؟ قال : « **نعم ، وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحضاح** » ، وفيه عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال : « **لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلي منهما دماغه** » وقال : « **إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه** »[2] ، وكذلك ينفع دعاؤه لهم بأن لا يجعل عليهم العذاب في الدنيا، كما كان ﷺ يحكي أن نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يقول : « **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** » . وروى أنه دعا بذلك : أن أغفر لهم فلا تعجّل عليهم العذاب في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دابّة وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمّى** ﴾ ، وأيضاً فقد يدعو لبعض الكفار بأن يهديه الله أو يرزقه فيهديه أو يرزقه ، كما دعا لأم أبي هريرة حتى هداها الله ، وكما دعا لدَوْس فقال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم » فهداهم الله ، وكما روى أبو داود أنه استسقى لبعض المشركين لما طلبوا منه أن يستسقي لهم فاستسقى لهم ، وكان ذلك إحساناً منه إليهم يتألف به قلوبهم ، كما كان يتألفهم بغير ذلك .

وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله ، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ، ولا شفاعة أعظم من شفاعته . لكن دعاء الأنبياء وشفاعتهم ليس بمنزلة الإيمان بهم وطاعتهم ، فإن الإيمان بهم وطاعتهم توجب سعادة الآخرة والنجاة من العذاب مطلقاً وعامّا ، فكل من مات مؤمناً بالله ورسوله مطيعاً لله ورسوله كان من أهل السعادة قطعاً ، ومن مات كافراً بما جاء به الرسول كان من أهل النار قطعاً .

وأما الشفاعة والدعاء ، فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع ، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم ولو

---

(١) قال النووي : قالوا : ولجنهم أدراك ، فكل طبقة من طبقاتها تسمى دركاً ، والدرك الأسفل مقرها .

(٢) انظر صحيح مسلم (١ / ١٣٥) .

(٣) سورة فاطر ، الآية : (٤٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كـان الشفيع أعـظم الشفعاء جـاهاً ، فـلا شفيع أعـظم من محمد ﷺ ، ثم الخليـل إبراهيم ، وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له كما قال تعالى عنه : ﴿ **رَبّنا اغْفر لي وَلوالدَيّ وللمُؤمنينَ يَوْمَ يَقُومُ الحساب** ﴾[1] . وقد كـان ﷺ أراد أن يستغفر لأبي طالب اقتداء بإبراهيم[2] ، وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه فأنـزل الله تعالى : ﴿ **ما كان للنّبيّ والذينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للمُشْرِكينَ وَلَوْ كانُوا أولي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أنهُمْ أصحَابُ الجحيم** ﴾[3] ثم ذكر الله عذر إبراهيم فقال: ﴿ **وما كان اسْتِغْفَارُ إبْراهيمَ لأبيهِ إلاّ عَنْ مَوْعدَة وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوٌ للّهِ تَبـرّأ منْهُ إنَّ إبْـراهيمَ لأوّاهٌ حَليمٌ . وما كـانَ اللّهُ لِيُضلَّ قَـوْمـاً بَعْـدَ إذْ هَـداهُمْ حَتّى يُبَيّن لَهُمْ مـا يَتّقونَ** ﴾ ، وثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « **يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك : لا تعصني ؟ فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا رب أنت وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله عز وجل : إني حرّمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : انظر ما تحت رجليك فينظر ، فإذا هو بذيخ[5] متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار** » . فهذا لما مـات مشركـاً لم ينفعه استغفار إبراهيم مع عظم جاهه وقدره ، وقد قال تعالى للمؤمنين : ﴿ **قد كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْراهيمَ وَالذينَ مَعَهُ إذْ قالُوا لقَوْمهمْ إنّا بُرَآء منْكُمْ وممّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله ، كفَرنا بِكُمْ وبَدا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَـداوَةُ والبَغْضاء أبَـداً حَتّى تُؤمنُوا بـالله**

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : (٤١) .

(٢) أخرج الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال : أي عم ، قل : لا إله إلاّ الله أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله : يا أبا طالب : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يـزالا يكلمانـه حتى آخر شيء كلمهم بـه هـو : على ملة عبـد المـطلب ، فقـال النبي ﷺ : « **لأستغفـرن لك مـا لم أنـه عنـك** » فنـزلت : ﴿ **مـا كـان للنبي والـذين آمنـوا أن يستغفـروا للمشركين** ﴾ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (١١٣) .

(٤) سورة التوبة ، الآيتان : (١١٤ و ١١٥) .

(٥) الذيخ : ذكر الضباع الكثير الشعر ، والجمع : أذياخ وذيوخ وذيخة وهي ذيخة وذيخات .